تحليلٌ سياسيٌّ لحركة عاشوراء من وجهة نظر المستشرقين الألمان والإنكليز

السيد محسن شيخ الإسلامي[1]
أمير تيمور رفيعي[2]
السيد حسن قريشي كيرين[3]

خلاصة البحث

إنَّ النظرة السياسيّة للمستشرقين الألمان والإنكليز حول مدرسة عاشوراء لها العديد من التقلّبات والتحدّيات؛ فقد حاول علماء الألمان والإنكليز، كروّاد الدراسات الإسلاميّة بشكلٍ عامٍّ، ودراسة عاشوراء بشكلٍ خاصٍّ، التحقيق في شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام وأهداف ومعطيات نهضته من منظورٍ مادّيٍّ ومستقلٍّ عن الدين؛ ونظرًا لحقيقة أنّ العالم الإسلاميّ والمصادر المتاحة كانت تحت سيطرة الجماعة السنّيّة منذ البداية، وأنّ المصادر الشيعيّة كانت معرَّضة للتحريف أو قَلَّما رأت اهتمامًا، نشهد في الغالب نتائج متحيّزة وغير منصفة، فمن ناحية ينظر المستشرقون إلى الإمام الحسين عليه السلام على أنّه عضو من مُعارضي الحكومة المركزيّة ولديه أفكار معادية للعلمانيّة، فيخلطون بين أفكاره الدينيّة والعقديّة وآرائه السياسيّة والاقتصاديّة، ومن ناحية أخرى فمن الصعب العثور على مستشرق لم يتأثّر بالعواطف الشخصيّة والوطنيّة والدينيّة أثناء دراسته لهذه الحركة والتحقيق فيها من وجهة نظر علميّة بحتة.

---

١. قسم التاريخ، جامعة آزاد الإسلاميّة، محلات، إيران. البريد الإلكتروني: Mpa9262@yahoo.com.
٢. قسم التاريخ، جامعة آزاد الإسلاميّة، محلات، إيران. البريد الإلكتروني: Amirteymour_rafiei@yahoo.com .
٣. قسم التاريخ، جامعة بيام نور، قم، إيران. البريد الإلكتروني: Shquorishi@gmail.com.

والغرض من هذا البحث هو دراسة مقارنة للمواقف السياسيّة للمستشرقين الألمان والإنكليز فيما يتعلّق بحادثة عاشوراء بجانب دراسة المبادئ الفكريّة والمنهج العمليّ لهم، وفي هذا البحث يتمّ السعي من خلال منهج تحليليّ وتوضيحيّ، الإجابة عن هذه الأسئلة: ما الموقف السياسيّ للمستشرقين الألمان والإنكليز من حادثة كربلاء؟ كيف كانت الأسس الفكرية لدراسات عاشوراء من الناحية السياسيّة؟ وفقًا لباحثي الشيعة البارزين والعديد من معاهد البحوث الإسلاميّة الشيعيّة، من المحتمل جدًّا أن المستشرقين الألمان والإنكليز قد أهملوا البعد العقديّ لحركة كربلاء تحت تأثير الوطأة السياسيّة.

المفردات الرئيسة: الإمام الحسين عليه السلام، المستشرقون، عاشوراء، الألمان، الإنكليز

مقدّمة

إنّ (حركة كربلاء) باعتبارها الحركة السياسيّة والدينيّة الأكثر استقرارًا في الثقافة الشيعيّة، هي في الواقع آخر جهدٌ أيديولوجيٌّ شيعيٌّ لإعادة الحكم إلى آل علي عليه السلام، فمن المهمّ ذكر نقطتين قبل الدخول في البحث: إحداهما تؤثّر الأحداث عمومًا، والحرب خصوصًا، في شخصيّة الناس، لكن في حادثة كربلاء، لم يتأثّر الإمام الحسين عليه السلام بالحادثة فحسب، بل هو الذي أثّر فيها. والأخرى أنّ هذه الحادثة قد تحوّلت إلى مدرسة تتكوّن من جوهر شخصيّة الإمام عليه السلام وهدفه السامي، ومع كلّ هذا، فكان للمذهب الشيعي وحركة كربلاء غموض كبير منذ الماضي وحتّى اليوم بسبب هيمنة الدراسات السنيّة على دراسات المجتمعات الغربيّة وأبحاثها العلميّة، وأمّا كُتّاب "الملل والنحل" المنتمين لأهل السنّة، فهم يعتبرون الشيعةَ عمومًا منحرفون عن النهج المستقيم، بل الشيعة تُمثّل عندهم عقيدة منحرفة في مقابل العقيدة الصحيحة؛ لذلك فإنّ العديد من الباحثين الغربيين الذين درسوا الإسلام، قد اقتبسوا هذه التحريفات واعتبروا الإسلام الشيعي بمثابة بدعة في دين الإسلام.

أمّا فيما يخصّ محدوديَّة البحث، فيكفي القول إنَّ مِن كلِّ ٣٥٠ كتابًا ومقالًا عن الإسلام لا يرتبط بالشيعة الاثني عشريّة إلّا كتابًا واحدًا تقريبًا، وهو أقلّ بكثير من المؤلّفات عن الشيعة الزيديّة والإسماعيليّة، وقد اُتّخذت الخطوة الأولى الجديدة نحو الدراسات الشيعيّة في العالم الغربي، من قبل معاهد الدراسات الشيعيّة في ألمانيا وإنجلترا؛ فإنّ هذين البلدين، باعتبارهما أقدم مراكز الدراسات الشيعية في أوروبا، بالإضافة إلى العمق العلمي والسلامة البحثيّة نسبيًّا، لهما تاريخ أطول من الدول الأوروبيّة الأخرى؛ لوجود معاهد بحثيّة ومفكّرين بارزين فيها، وأنَّ وجود قائمة طويلة من المستشرقين المرموقين ومراكز البحوث الألمانيّة ذات السمعة الطيبة والمنشورات والمجلّات الإنجليزيّة تدلّ على مستوى عالٍ لهذين البلدين من الناحية الكميّة والكيفيّة في

البحوث، ولكن النهج المنحاز والمشوَّه والتفسيريّ والاستعماريّ من ناحية، ومن ناحية أخرى ظهور المدرسة الماركسيّة، وهي تفسير مادّي واقتصاديّ للتطوّرات التاريخيّة لحادثة كربلاء، فقد قادت عامّة المستشرقين إلى نتيجة غير واقعيّة.

الأول: عاشوراء

مفردة (عاشوراء) اشتقّت من مادة (عشر) تعني (العاشر).[١] وجاءت في *"المعجم الوسيط"* على النحو التالي: «العاشور: اليوم العاشر من المحرم»، وقد وردت بثلاثة أشكال: عاشوراء، والعاشور، والعاشوراء[٢]. وتمّت الإشارة إلى هذا الحادث بعناوين وأسماء مختلفة نحو (حادثة كربلاء)، و(القيام الحسيني)، و(نهضة عاشوراء)، و(نهضة كربلاء)، و(واقعة الطف أو نينوى) و(مكتب عاشوراء).

الثاني: المستشرق

وردت لفظة (المستشرق) في اللغة بمعنى الواضح والمبين.[٣] وما يعرف بالاستشراق من قبل الباحثين هو في الواقع مزيج من دراسة تاريخ الثقافة والحضارة وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس الاجتماعي للشعوب والأقوام الشرقيّة، والتي تمّ إنشاؤها ودراستها من قبل مختلف مجالات العلوم الإنسانيّة الحديثة في الغرب.[٤]

١. الاستشراق

تُعرف جوانب مختلفة من الدراسات الغربيّة حول الشرق وما يتعلّق به باسم الاستشراق، أي: دراسة الشرق (بالفارسيّة: شرق شناسى، خاورشناسى)، ودراسة

١ . ذوالفقاري، ١٣٧٢: ٣٢.
٢ . أنيس، ١٩٧٣م: ٢/٦٠٢.
٣ . دهخدا، ١٣٣٧: ٣١.
٤ . مترز، ١٣٧٧: ٣.

الإسلام، ودراسة إيران.[١] ويعتبر "إدوارد سعيد" أنّ أساس وتفسير الاستشراق يرتكز على أربعة مبادئ: أ. هناك فرق مطلق ومنظّم بين الغرب والشرق. **ب.** إنّ القراءات الغربيّة حول الشرق لا تستند إلى واقع المجتمعات الشرقيّة الحديثة، وإنّما على التحليلات النصّيّة والعقليّة. **ج.** الشرق ثابت وراكد، وله نسقٌ واحدٌ، وغير قادر على شرح هويته. **د.** هو تابع ومطيع.[٢]

يقول النراقي: «الاستشراق مسألة غربية بطبيعتها».[٣] ونتيجة لذلك ينظر الغرب إلى الشرق على أنّه موضوعٌ مستقلٌّ تمامًا؛ فإنّ إظهار المجتمع الإسلاميّ كمجتمع مفكّك، والاستخفاف بإنجازات الحضارة الإسلاميّة، واختلاق المفاهيم غير العلميّة، وهيمنة الرجال على النساء في مختلف الشؤون، هي بعض الأمثلة على الأمور غير الدقيقة التي أكّد عليها المستشرقون، لقلّة معرفتهم بالدين الإسلامي وفهمهم الناقص حوله؛ ولهذا يقول الأسعدي:

الدراسات الإسلاميّة في الغرب، كانت مناهضة للإسلام تأسيسًا، وهي معادية للإسلام أساسًا.[٤]

٢. تاريخ معرفة الغرب بالتشيع وحركة كربلاء

تمّ إجراء العديد من التقسيمات حول الدراسات الإسلاميّة للغرب عن الشرق، بما في ذلك تقسيمها إلى أربعة أجزاء: **أ.** العصور الوسطى. **ب.** العصر العثماني. **ج.** العصر الحديث. **د.** النصف الثاني من القرن العشرين.[٥] فيمكن القول إنّ التعرف الجادّ الأول للغرب بالإسلام والتشيع، حدث من خلال "مذكرات السفر للرَّحالة" في العقود الأخيرة

١. الويري، ١٣٨١: ٧.
٢. فاروقي، ١٣٦١: ٢.
٣. النراقي، ١٣٥٤ :٢.
٤. الأسعدي، ١٣٨١ :١.
٥. الويري، ١٣٨١ :٤٠.

من القرن الثالث عشر وبدايات القرن الرابع عشر، وكانت طليعتها مذكرات "ماركوبولو" عن رحلاته، وكتابات عن إسماعيليّة الشام،[١] ثمّ سبّبت (الحروب الصليبيّة) في المزيد من تعرف الغرب على العالم الشيعي؛ وذلك من خلال المعلومات الضئيلة والمشوّهة عن تلك الفترة، التي اقتبسها الكتاب الغربيون بشكلٍ عامّ من آراء ابن حزم وابن قتيبة.[٢]

وازدادت هذه المعرفة مع تأسيس "الدولة الصفويّة" وارتفاع نسبة العلاقات السياسيّة والاقتصاديّة بين الأوروبيين وإيران خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، كما أنّ الملاحظات والأوصاف التفصيليّة لـ: "رافائيل دومانز وجان شاردان"، جعلت الغرب أكثر معرفة بالشيعة الاثني عشريّة،[٣] وفي بداية القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، لعبت "المجالس الإنجيلية" الدور الرئيس في هذا الخصوص، وكان رجال الدين المسيحيّون، بصفتهم متصدّين لتوجيه الدراسات الإسلاميّة ونوع العلاقة بين أوروبا والعالم الإسلاميّ، يحاولون من خلال دعواتهم التبشيريّة تنصير المسلمين والسيطرة عليهم سياسيًّا واقتصاديًّا بدعم من الحكومات الاستعماريّة ومشاريعها.[٤]

وكان حينئذٍ العديد من المستشرقين المشاهير أعضاء أو عمّال في السفارات والقنصليّات والوكالات السياسيّة والتجسّسية والعسكريّة للحكومات الاستعماريّة بشكلٍ مباشر.[٥] ولم يكن هناك أيّ ذكر للمذهب الشيعي في أوروبا بسبب عدم إتاحة المصادر الشيعيّة، إلى أن أطلق معهد "ستراسبورغ" للأبحاث في عام ١٩٦٨م، عن طريق مجموعة عمل مكوّنة من ٢٣ شخصًا من الأساتذة الأوروبيّين البارزين، بحثًا أساسيًّا

١ . مطهري‌نيا، ١٣٨٩ :٤١.
٢ . إحيا حسيني، ١٣٨٧: ٢٣.
٣ . سحاب ، ١٣٥٦: ٧٢.
٤ . الويري ١٣٨١: ٨٨.
٥ . بدوي، ١٩٣٢ :٥٣٢.

ومستمرًّا حول المذهب الشيعي في القرن الثاني عشر وفحصه ودراسته من شتّى الجوانب.[١]

ومع انتصار الثورة الإسلاميّة الإيرانيّة عام ١٣٥٧ ش، ونهج الإمام الخميني قدس سره الذي كان له تركيزٌ خاصّ على دور محرّم وصفر في تأسيس الثورة واستمرارها، واستناده المستمرّ في مواقفه السياسيّة إلى ذكريات حادثة كربلاء،[٢] فضلًا عن تحوّل الفكر العلماني (في إيران) إلى حكومة إسلاميّة شيعيّة، اتّخذت الإجراءات السياسيّة للعالم الغربي للتحقيق في منشأ الثورة ومكوّناتها وتيّاراتها شكلًا أكثر جدّيةً، ومن ثمَّ دخل البحث عن الشيعة وحركة كربلاء مرحلة جديدة، يقول الشهيد مطهري قدس سره عن الفكر العلماني لبني أميّة ويزيد:

إنّ أكبر ضربة قد تعرَّض لها جسد الإسلام بدأت منذ انفصال السياسة عن الدين، فلم يكن هناك عدالة ولامساواة ولا أي دعم للعلم والتعليم في العصر الأموي، ولم يكن أيّ خطّةٍ ترويجيّةٍ إلّا للشعر والعادات والآداب الجاهليّة، فقد كانت السياسة منفصلة عن الديانة بالفعل.[٣]

الثالث. تاريخ الدراسات عن عاشوراء

تعتبر حادثة عاشوراء من أبرز رموز الشيعة والعامل الأساس في تعرّف المستشرقين على الثقافة الشيعيّة، وهناك مجموعتان من الآراء العامّة للمستشرقين حول حركة عاشوراء المجموعة الأولى هي عبارة عن مستشرقين قد اعتبروا نهضة عاشوراء عدوانيّة ومادّيّة؛ اعتمادًا على النظرة السنّية السائدة في البحوث الإسلاميّة، والمجموعة الثانية كانت لها نهج واقعي وقد أدركت الغرض الأساس لهذه الحركة الإسلاميّة الناجية. ففي المجموعة الأولى هناك مستشرق بارز مثل "ويلفريد مادلونغ"، الذي نسب حركة التوّابين بعد حادثة عاشوراء إلى المختار الثقفي، وفي المجموعة الثانية "توماس أرنولد" الذي اتّهمه المستشرقون المتعصبون بالوُدّ والخنوع تجاه المسلمين.[٤]

---

1 .Colloque De Strasbourg, 1968: 6-9.

٢ . عنايت ، ٢٤٥: ١٣٦١.

٣ . المطهري، ١٣٤٩: ٣٢-٣١.

٤ . الويري، ١٣٨١: ٨١.

والخوض في مصادر التاريخ الإسلامي وترجمة الكتب التاريخية نحو" *مقتل الحسين*" لأبي مخنف، و"*تاريخ الطبري*"، و"*تجارب الأمم*"، والرحلات السياسيّة والاقتصاديّة إلى بلاد الإسلام الشرقيّة والحروب الصليبيّة شكّلت المرحلة الأولى من تعرّف الغربيين بعالم التشيّع.[١] وكما قال "برنارد لوئيس":

أخذ العالم الغربي خلال الحروب الصليبيّة لأوّل مرّة في التعرّف على الشيعة الفاطميين في مصر، دون الشيعة الاثني عشرية.[٢]

وفي العصر الحديث قام المستشرق الإنجليزي "فريدريك أمدرور" (١٨٥٤-١٩١٧ م) بتصحيح وترجمة التواريخ العامّة أو الكتب الخاصّة بالشيعة، نحو:" *الإرشاد*" للشيخ المفيدﷺ، وخلافة يزيد بن معاوية من" *تاريخ الطبري*"، و"*تجارب الأمم*" لابن مسكوية (٤٣١ ق)، كما قام المستشرق "مادلونغ" بترجمة فصل علي بن أبي طالب وأبنائه من كتاب" *أنساب الأشراف*" للبلاذري (٢٧٩ ق) ممّا قاد المستشرقين الغربيين إلى التعرّف أكثر على شخصيّة الإمام الحسينعليه السلام.[٣]

لكنّه - وبغض النظر عن الدراسات والأبحاث التي قد أُجريت إلى الآن - يبدو أنّ جملة "إدوارد براون" لا تزال سارية؛ حيث قال: «ما زلنا لا نملك أثرًا مبسوطًا وكافيًا وموثوقًا عن الشيعة في أيّ من اللغات الأوروبيّة»، وهكذا يشتكي من نقصٍ أو قلّة المصادر والمآخذ الغربيّة عن الشيعة.[٤] كما يعتقد "مونتجري وات" في خصوص تاريخ الشيعة، أنَّ النهج السني يميل إلى إبقاء كلّ شيء في الظلام والغموض.[٥]

---

١. سحاب، ١٣٥٦: ٦.

٢. إحيا حسيني، ١٣٨٧: ٢٣؛ دونالدسن، ١٣٩٥: ٣٩.

3 . I.K.A Howard, 1990: 19.

٤. دونالدسن، ١٣٩٥، ج١: ٥٦.

٥. وات، ١٣٧٠: ٦٧.

١. عاشوراء.. طليعة الشيعة

يعتقد جُلّ المستشرقين تقريبًا أنّ المذهب الشيعي قد نشأ من حركة كربلاء، ويقول "أنكري" حول حادثة عاشوراء، في مقام المقارنة:

إنّ المقارنة بين الحسين ويزيد، هي المقارنة بين التقوى والمعصية، وبين الشجاعة والدنائة، وبين الروح والجسد.[١]

وأوردت لـ"مبتون" حول منشأ التشيع:

إنّ التشييع كحركة دينيّة، استلهمت في نشوئها ونموها من استشهاد الإمام الحسين عام ٦١ق.[٢]

فإنّ التشيع هو نتيجة استشهاد الحسين عليه السلام، كما تَذكُر "آنا ماري شيمل":

إنّ أولى نقاط العقائد والأفكار التي أصبحت فيما بعد أساس المعتقدات الكلاميّة للشيعة تتمحور حول محور كربلاء حيث اتّخذت لونًا أكثر جدّيّة.[٣]

٢. موقف المستشرقين الألمان من حادثة عاشوراء

أ. أنجلبرت كمبفر[٤] **(١٦٥١ ـ ١٧١٦م)**

إنّ "كمبفر"، هو أوّل من قام بتحليل حركة عاشوراء من منظور مقتل "*روضة الشهداء*" بالفارسيّة، للملّا حسين كاشفي.[٥]

ب. فرديناند وستنفلد[٦] **(١٨٠٨ -١٨٩٩م)**

"وستنفلد" مستشرق ومتخصّص في تاريخ الإسلام والأدب العربي، وهو أوّل باحث قد عرّف العلماء الغربيين بكتابات المقتل حول الإمام

١. أنكري، ١٣٧٨: ٢٠٥.

٢. لمبتون، ١٣٨٩: ٣٦٤.

٣. شيمل، ١٣٧٥: ١٥٩.

4 . Engelbert Kaempfer

٥. كمبفر، ١٣٦٣: ١٨٠.

6 . Ferdinand Wustenfeld

الحسين عليه السلام، من خلال نشر مقال عن (*مقتل الحسين* لأبي مخنف)[١].

ج. تئودور نلدكه[٢] (١٨٣٦-١٩٣٠م)

يعد "نلدكه" أحد أبرز المستشرقين والمترجمين للقرآن الكريم باللغة الألمانيّة[٣] فقد سافر إلى أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي لإجراء أبحاثه، كما قام ببحث حول حادثة كربلاء، ضمن دراسة مقارنة بين الإمام الحسين عليه السلام والسيد المسيح عليه السلام؛ حيث يَعتبر كلًّا منهما صاحب شريعة حقّة وصراط مبين.

د. يوليوس ولهاوزن[٤] (١٨٤٤ـ ١٩١٨م)

تحدّث "ويلهاوزن" في كتابَيه بالتفصيل عن الحسين بن علي صلى الله عليه وآله وحادثة كربلاء،[٥] وقد تناول دور الحسين بن علي أثناء الخلافة الأمويّة من منظور تاريخي وعلم الاجتماع وعلم الكلام، كما حاول "ولهاوزن" اعتمادًا على معلوماته، رسم صورة دقيقة من المواضع والشخصيّات من جهة، ونفي وجود أيّ دافعٍ دينيّ في حركة الإمام الحسين عليه السلام من جهةٍ أخرى، بل اعتبرها محاولة من شخص طموح للوصول إلى السلطة العليا.

هـ. آنا ماري شيمل[٦] (١٩٩٢-٢٠٠٣م)

الدكتورة "شيمل" دارسة وباحثة في الدين الإسلامي، وهي مستشرقة وباحثة مولوية شهيرة ألمانيّة، وقد ألّفت كتابًا بعنوان (*مِن علي إلى الزهراء*). وهي في أعمالها تعتبر يزيدَ مستحقًّا باللعن من قبل المسلمين، وتوجّهه مسؤولية فاجعة كربلاء.[٧]

---

١. سحاب، ١٣٥٦: ٣٣٢-٣٣٣.

2 . Theodor Noldeke

٣. محمدي، س، ١٣٩٣: ٧.

4. Julius Wellhausen

٥. ولهاوزن، ١٣٧٥: ٦٦.

6 . Anne Marie Schimmel

٧. زوارق موسوي، ١٣٩٢: ١٤٨.

٣. موقف المستشرقين الناطقين بالإنجليزية من حادثة عاشوراء

أ. دوايت دونالسن[1] (١٨٨٤-١٩٧٦م)

قام "دونالسن" بتأليف أوّل كتاب عن التشيع بعنوان (المذهب الشيعي) عام ١٩٣٣م،[2] وقد قوبل هذا العمل بردود فعلٍ سلبيّة من قبل المثقّفين الشيعة؛ لوجود الغلوّ وشبهات مختلفة حول الإمام الحسين عليه السلام والأئمّة المعصومين عليهم السلام، وخلافًا لموقف أتباع المذهب الشيعي، لم يلق هذا العمل ترحيبًا من المستشرقين فحسب، بل وإنّ الكُتّاب العرب الذين تختلف مواقفهم عن الشيعة، استخدموه كمصدر كثير الإرجاع.

ب. إدوارد براون[3] (١٨٦٢-١٩٢٦م)

فقد حاول المستشرق "براون"، مقارنة الأحداث الاجتماعيّة لإيران المعاصرة مع الأحداث السياسيّة في كربلاء، فقد كتب في كتابه "*تاريخ إيران الأدبي*":

> إنَّ إراقة دم حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله في ظروف وحشيّة وغير مسبوقة بكلّ أنواع التعذيب، تسبّب في الاستياء والكراهيّة العامّة، ومنذ ذلك الحين نُفخت روح الاستشهاد والتضحية والاستخفاف بالموت في قلوب الناس، وأعطت لتطور الشيعة ونشاطها قوةً تزداد يوما بعد يوم.[4]

ج. جون نورمان هاليستر[5] (١٩٠٧-١٩٧١م)

إنّه نظير "دونالدسن"، وهو من أصل بريطاني، وقد أجرى أبحاثًا مستفيضة حول التشيع والإمام الحسين عليه السلام في منطقة آسيا، ويعتقد أنّه ليس في تاريخ الإسلام حادث يجرح مشاعر

1 . Dwight Donaldson

٢ . دونالدسن، ١٣٩٥، ج١: ١.

3 . Edward Browne

٤ . أنكري، ١٣٧٨: ٢٣٩.

5 . John Norman Hollister

المسلمين بعمق كما فعلت مجزرة كربلاء، وكانت كربلاء القوّة الحقيقيّة التي قد قادت أعمق التيّارات الفكريّة والاجتماعيّة للشيعة خلال عدة قرون، وأضاف قائلًا:

إنّ محمّدًا وعليًّا والحسين هم الأقانيم الثلاثة للشيعة، فكان محمّدﷺ هو الكاشف (للحق)، وعليعليه السلام هو المبيّن للمحكمات والمتشابهات، والحسينعليه السلام هو وسيلة النجاة.

٤. عدم انتباه المستشرقين إلى البعد الروحي لكربلاء

لابدّ من البوح بأنّ المستشرقين قد تأثّروا بشكلٍ مفرط بـ(المنهجية الميكانيكيّة) أو (المنهج العلمي التاريخي) في جانب بحوثاتهم لحركة عاشوراء، مما أدّى إلى أنّ العديد من المفاهيم والقضايا الدينيّة والمعنويّة والأخلاقيّة في الفكر العلميّ للغرب تبقى بلا قيمة علميّة ومعرفيّة أو ضعيفة علميًّا للغاية؛ فقد أورد "ماربين" في كتاب "*سياسة الإسلام*" حول حادثة كربلاء العظمى:

إنّ سلوك الحسين عندما غادر مكة لمجابهة يزيد، هو سلوك رجل لديه أسمى عواطف إنسانيّة، فكان الحسين يؤمن بأنَّ ذِكراه والقضيّة التي يدافع عنها لن تُمحى من القلوب أبدًا، وستؤتي ثمارها الطيّبة، وأنّ التضحية بالنفس هي السبيل الوحيد للكشف عن هداة الإسلام المستقبليّة.[1]

يعتقد "توماس كارلايل" البريطاني أنّ أفضل درس يمكن أن نتلقاه من مأساة كربلاء، هو أنّ الإمام الحسينعليه السلام وأصحابه كان لديهم إيمانٌ راسخ بالله، وقد أثبتوا بعملهم أنّ التفوّق العددي ليس مهمًّا عندما يتوقّف الأمر بين الحقّ والباطل، وأنّ موالاة هؤلاء للإمام الحسينعليه السلام على الرغم من قلّة عددهم، هو مدعاة للحيرة،[2] إنّ عدم استيعاب المستشرقين حقيقة حادثة كربلاء، لم يكن مؤثّرًا أبدًا في النهج القائم على التفكير الديني والحضاري للإمام الحسينعليه السلام، بل على العكس، لقد شهدنا في العصر

١. أنكرى، ١٣٧٨: ٢٦٠.

٢. زوارق موسوي، ١٣٩٢: ٣١٧؛ ماجراجو، ١٣٨٣: ١٨٦.

الراهن، النزعة النسبيّة للمستشرقين نحو المدرسة الشيعيّة، وهذا العامل هو مصداق ذلك الحديث المشهور عن رسول اللهﷺ؛ حيث قال: «إنَّ لقتل الحسين حرارةً في قلوب المؤمنين لا تبرد أبدًا».[1]

الرابع: الأغراض والعناصر السياسيّة المكوِّنة لحادثة عاشوراء

١. اعتلاء العرش

يعتقد بعض المستشرقين أنّ هدف الإمام الحسينؑ من الخروج كان اعتلاء العرش وتولي الحُكم، فمن حقّ الطبقة الحاكمة الدفاع عن النظام بأيّ شكل من الأشكال؛ وبذلك يحاولون إظهار قيام سيد الشهداءؑ كمجرّد حركة باحثة عن السلطة، والحسينؑ كشخص متمرّد على الحكومة القوميّة العربيّة المتمركزة في دمشق، كما يكتب "جون بايرناس":

> **كان الحسين يسعى وراء حقّه الموروث والموهوب، فقتل بأمر من الخليفة الأموي يزيد.**[2]

وقد أورد "دزموند هارني":

> **يولي المذهب الشيعي أهمّيّة كبيرة للجهاد والشهادة، ويرجع معظمه إلى النزاع حول هزيمة فئةٍ قليلةٍ من المسلمين في حرب سياسيّة قبل حوالي ١٣٠٠ عام.**[3]

لكن وفقًا للنصوص والروايات الإسلاميّة، والتي هي عمومًا ضدّ حكم الأمويّين، يُعتبر الإمام الحسينؑ هو الشهيد المظلوم ويزيد هو المسؤول عن قتله، مع ذلك هناك بين المؤرّخين الجدد نحو "سير دبيليو ماير"، مَن يتّفق مع النظرية القائلة بأنّ الحسين ارتكب فعلًا قد عرّض المجتمع للخطر؛ ذلك بسبب انقلابٍ فاشل ضدّ النظام، وكان

---

١. بروجردي، ج١٢: ٥٥٦.
٢. بايرناس، ١٣٨٠: ٨٥٠.
٣. هارني، ١٣٧٧: ١٥٧.

من الضروري قمعه فورًا،[١] إلّا أن "نيكلسون" يعترف بأنّ الأمويين هم الطغاة بسبب مخالفتهم لأحكام الإسلام وتمرّدهم على مُثله، وبما أنّهم ظالمون فليس لهم الحقّ في قتل المؤمنين الذين انتفضوا مسلّحين لإحقاق حقوقهم المغصوبة.[٢]

وفي هذا الصدد، لا بدّ من الإشارة إلى بعض النقاط المهمّة:

الأولى: حاول بعض المستشرقين أن ينزّلوا الإمام الحسين عليه السلام إلى منزلة زعيم سياسيّ، بينما هو معصوم وهدايته عامّة.

الثانية: إنّ الحركة العسكريّة في كربلاء بدأت من جانب العدو، وكانت حركة الإمام الحسين عليه السلام دفاعيّة بحتة.

الثالثة: في حال عدم خروج الإمام الحسين عليه السلام، فكان عليه قبول بيعة يزيد كُرهًا، وهذا يتناقض مع آيات القرآن الكريم؛ حيث يقضي بعدم التعاون في الإثم والخطيئة، قوله تعالى: ﴿**وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**[٣]﴾.

وعليه، فلم يكن هدف الإمام الحسين عليه السلام من القيام هو اعتلاء العرش، ولكنّ الله أمر بوضوح في القرآن الكريم بعدم التعاون في المعاصي والعدوان (أي: مبايعة آل يزيد).

٢. دور عبد الله بن الزبير في خروج الإمام الحسين عليه السلام

يختلف المؤرّخون الإسلاميّون حول موقف عبد الله بن الزبير في خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكّة إلى الكوفة، فيرى البعض أنّ الحسين عليه السلام كان عبئًا ثقيلًا على ابن الزبير؛ لأنّ أهل الحجاز ما كانوا ليبايعوه والحسين بن علي صلى الله عليه وآله فيهم، فكانت بيعة الناس له مستحيلة.[٤]

ويروي ابن الأثير عن الإمام الحسين عليه السلام:

١. بروكلمان، بدون تاريخ، ج٣؛ نيكلسون، ١٣٨٠: ٢١١.
٢. نيكلسون، ١٣٨٠: ٢١٢.
٣. المائدة: ٢.
٤. ابن الأثير، ١٩٨٦: ٥/ ١١٢.

إِنَّ هَذَا لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا أَحَبَّ إِلَيْهِ (ابن الزبير) مِنْ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ الْحِجَازِ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ النَّاسَ لَا يَعْدِلُونَهُ بِي، فَوَدَّ أَنِّي خَرَجْتُ حَتَّى يَخْلُوَ لَهُ.[1]

وعلى عكسه يكتب المسعودي وابن كثير أنّه بعد قرار الإمام الحسين عليه السلام بالخروج من مكّة، طلب منه الكثيرون عدم الذهاب إلى الكوفة والبقاء في مكة، ومن بينهم عبد الله بن الزبير،[2] كما يعتقد بعض المستشرقين أنّ ابن الزبير أبدى عداوته مع يزيد علنًا وشجّع الإمام الحسين عليه السلام في خروجه إلى العراق حتّى يكون بعد استشهاد سيد الشهداء، هو المطالب الوحيد بالخلافة. فهم يعتقدون أنّ ابن الزبير كان يعرف أنّه لن يصل إلى هدفه ما دام الحسين على قيد الحياة.[3]

ويحاول المستشرقون في هذه القصّة أن يقدّموا عبد الله بن الزبير كشخصيّة في طليعة حركة كربلاء؛ ذلك من خلال إظهار الوضع السياسي للحجاز والشام بشكلٍ مقلوب، وإلقاء الضوء على بعض الأحداث الجانبيّة، لكنهم يجهلون أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يعرف حقيقة ابن الزبير، ويعلم جيّدًا بعداوته لأهل البيت عليهم السلام، خاصّة أن أباه كان من رؤوس معركة الجمل، وكان هو بالذات من حملة جيش عائشة وطلحة والزبير؛ ولهذا قال الإمام الحسين عليه السلام في الرد على هؤلاء الذين طالبوه بالتخلّي عن الخروج، مشيرًا إلى الحكومة الأمويّة وحكومة الحجاز الغاصبتين: «ألا ترونَ إلى الحق لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغبَ المؤمن في لقاء ربه حقًّا.[4]

٣. دور الكوفيين في وقوع حادثة عاشوراء

يقول المستشرق "إشبولر":

---

١. ابن الأثير، ١٩٨٦: ١٣٧/٥.

٢. المسعودي، ١٣٧٠: ٥٩/٢-٦٠؛ ابن كثير، ١٣٥١: ١٧٤/٨.

٣. سايكس: ٧٤٩/١؛ حِتِّي، ١٣٨٠: ٢٤٨/١.

٤. الطبري، ١٤٠٩: ٣٠٤/٤.

بعد دعوة الكوفيين للإمام، رغم أنّهم أبلغوه بأنّ الإجراءات الاحترازيّة الحكوميّة وضعت مناصريه في الكوفة في وضعٍ حرجٍ، فقد رفض التراجع حفاظًا على شرفه، ورغم الظروف المواتية التي اقترحوها عليه، أنّه رفض التنازل عن حقّه (أي حق أهل البيت عليهم السلام)، وقد قُتل بعد صراع قصير في كربلاء، غربيّ الفرات، بجوار صحراء الشام.[1]

وفي نظريّة مثيرة للتأمّل، يتحدّث "ولهاوزن" عن رفض الكوفيين الخضوعَ لحكم مدن أخرى عليهم، كما يعتبر خروج حجر بن عدي مقدّمة لقيام الإمام الحسين عليه السلام.[2]

ويقول "سايكس":

إنّ إرسال الكتب من جانب الكوفيين، كان السبب الرئيس لقيام الحسين ضدّ الحاكم الإسلامي (يزيد).[3]

ورغم أنّه قام بدراسات مكثّفة إلّا أنّه قد أخطأ؛ لأنّ كلّ المستشرقين تقريبًا يرون أنّ الإمام الحسين عليه السلام أحدث قيام عاشوراء حتّى لا يخضع لحكم يزيد الجائر والظالم. وعلى كلّ حال، كانت الكوفة تعيش ظروفًا مضطربة وغير مستقرّة، وبالنظر إلى وجود الأعراق والأديان والمدارس المختلفة والآراء والأفكار المشتّتة والصراعات الطائفيّة، ولو كان أهل الكوفة قد ساعدوا الإمام الحسين عليه السلام فَرَضًا؛ فذلك كانت محاولة لنقل السلطة من الشام أو الحجاز إلى الكوفة والعراق، وليس لغرض ديني.

ويقول "دونالدسن":

إنّ كلّ الجنود المشاركين في معركة عاشوراء التي أدّت إلى مقتل الحسين، كانوا من الكوفة، ولم يكن بينهم شامي واحد.

ولعله أهمّ أدلّة على هذا البحث ما يكمن في كلمات سيد الشهداء عليه السلام قبل تلقّيه دعوة الكوفيين ومغادرة المدينة، الأمر الذي سيصلون حركة عاشوراء إلى الأبد من أيّ

١ . إشبولر، ١٣٥٤: ٧٢.

٢. دونالدسن، ١٣٩٥: ١/٤٦-٤٧.

٣ . سايكس، ١٣٦٦: ١/٧٤٩.

تحريف وتزوير؛ ففي بيان أهداف ثورته وحركته، فقد أشار في وصيّةٍ لأخيه محمد ابن الحنفية إلى هدفَيه الساميين: أحدهما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والآخر إصلاح أمّة جده وأبيه، ومع غضّ النظر عما ورد أعلاه، هناك عاملان كان لهما دورٌ كبيرٌ في عدم تعاون أهل الكوفة مع الإمام الحسين عليه السلام، وهما:

أ. قطع العلاقة بين القيادة والحركة: فإنّ أهمّ وظيفة القائد – رسميًّا كان أو غير رسمي – الحث والتخطيط لسير الحركة واتّجاهها وتقديم نموذج للسلوك (صنع القرار وتقديم نموذج يحتذى به)، ورسم مستقبل الحركة، والتركيز على وحدة الأمّة وإخراجها من الحيرة؛ فكان معاوية ويزيد يحاولان دائما القضاء على هذا العامل؛ ولهذا تمّ اغتيال مسلم بن عقيل كوسيط بين الإمام الحسين عليه السلام وأهل الكوفة، وتمّ القضاء على دوره الحاسم بيد عبيد الله بن زياد.[1]

ب. فقدان التنظيم وشنّ الحرب النفسيّة: فقد أمر ابن زياد بنشر دعايات وخطب متتالية من على القصر ضدّ أنصار الإمام الحسين عليه السلام ومسلم بن عقيل، وأعلن على نطاق واسع بأنّ قوّات يزيد تتّجه في طريقها من الشام صوب الكوفة، ولو فكّر الناس قليلًا، لعلموا أنّه حتّى لو صحّت الإشاعة فإنّ وصول جيش يزيد إلى الكوفة يستغرق شهرًا، ممّا يكفي للقضاء على أمر عبيدالله خلال بضع ساعات فقط.[2]

٤. إصرار أولياء دم مسلم بن عقيل

يقول المسعودي: "إنّ مُسلم بن عقيل، هو أوّل شهيد من بني هاشم الذي شُنق جسده"،[3] وبحسب المصادر فإنّ أسماء إخوة مسلم هي: عبدالله وعلي ومحمد وأبو سعيد

١. باقي، ١٣٧٩: ٢٧-٢٨.
٢. باقي، ١٣٧٩: ٢٩-٢٨.
٣. المسعودي، ١٣٧٠: ٢/١٠.

وعبد الرحمن وجعفر وعون،[١] وكان الجميع قد حضروا في كربلاء نصرةً للإمام الحسين عليه السلام، وكان جعفر بن عقيل من مفاخر آل عقيل، والذي قاتل في ساحة المعركة ببسالة حتّى استشهد على يد عروة بن عبد الله الخثعمي،[٢] وكان محمّد بن عقيل بن أبي طالب من فقهاء عصره، الذي استشهد يوم عاشوراء بجوار سيد الشهداء عليه السلام،[٣] وقال الإمام الحسين عليه السلام في صبر آل عقيل وصمودهم:

صبرًا يا بني عمومتي، صبرًا يا أهل بيتي، لا رأيتم هوانًا بعد هذا اليوم أبدًا.[٤]

ومن خلال حركة كربلاء، ركّز بعض المستشرقين على ضغوط آل مسلم على الحسين عليه السلام ليأخذ بثأره. يقول "نيكلسون" في *تاريخ الأدب العربي*:

بعد استشهاد مسلم بن عقيل، كان لا يزال الطريق مفتوحًا لرجوع الإمام الحسين عليه السلام، لكنّ أنصاره قد صاحوا بضرورة أخذ ثأر المسلم.[٥]

ويقول "سايكس" في السياق نفسه:

إنّ وصول خبر قتل مسلم تسبّب في ذعر الحسين وقلقه، وخيبة أمله في الرحلة تمامًا، لكنّه رأى أنّ المسافة التي قطعها كانت أكبر من أن يتراجع عنها، بالإضافة إلى ذلك، قام أقاربه وأرحامه بمطالبة ثأر مسلم.[٦]

وقد أخطأ بعض المستشرقين كـ: "دونالدسن وبروكلمان"؛ حيث اعتبروا هذا العامل كمصدر للاتّجاهات القوميّة بعد قيام كربلاء؛ إذ يكتب بروكلمان:

١. ابن شهر آشوب، ١٤١٢: ١١٢/٤.
٢. شريف القرشي، ١٤١٣: ٢٥١/٣.
٣. المصدر نفسه: ٢٥٢.
٤. المجلسي، ١٤١٢: ٣٦/٤٥.
٥. ولهاوزن، ١٣٧٥: ٦٥.
٦. سايكس، ١٣٦٦: ٧٤٩/١.

استشهاد الإمام الحسين عليه السلام جعل التشيع قُطبًا للتوجهات المعادية للعرب.[١]

ويقول "هاليستر" من خلال دراسته الجغرافيّة حول حركة الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء:

عندما وصل خبر مقتل مسلم إلى الحسين، كان هو وأهله قد وصلوا إلى القادسيّة، وكان لا يزال لديه فرصة للعودة، لكن إخوة مسلم رفضوا ذلك؛ لأنّهم كانوا يطالبون بثأر أخيهم.[٢]

لكن المستشرقين ليسوا على دراية بأنّ أنصار الإمام الحسين عليه السلام، ولا سيّما إخوة ابن عمه مسلم، كانوا يتبعون وليّ أمرهم اتباعًا محضًا، بحسب الآية المباركة: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ..[٣]﴾.

٥. قضيّة ندامة يزيد

ومن المواضيع المهمّة التي أثارها المستشرقون بعد حادثة كربلاء هي ندامة يزيد؛ فقد أورد "كارل بروكلمان" أنّه بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام نقلوا رأسه إلى يزيد، فتأثّر يزيد برؤيته تأثّرًا شديدًا؛ إذ لم تكن هذه النتيجة ما يتوقّعها يزيد، فأمر بإعادة أهل بيته الذين نجوا من كربلاء باحترام إلى المدينة،[٤] وإنّ سلوك يزيد العاطفي تجاه أهل بيت الحسين عليه السلام جعل بعض مقرّبيه (دفاعًا عن يزيد) أن يُلقوا اللوم على قادة الحرب فيما يتعلّق بمجزرة كربلاء، فقالوا إنّ القادة عصوا أوامر الخليفة، لكنَّ مؤرخّي الشيعة والعديد من كتّاب السنّة رفضوا ذلك قائلين: إنّ يزيد لم يتظاهر بالتصرف برفق، إلّا لوعيه بالعواقب الخطيرة لقتل الحسين، وتوقّعه حصول بعض الاضطرابات والاحتجاجات من قبل بني هاشم في دمشق، مع ذلك لم يحدّد أيّ فديةٍ أو غرامةٍ لقادة

١ . بروكلمان، بدون تاريخ: ٣/٣١٩-٣٢١.

٢ . هاليستر، ١٣٧٣: ٢٤.

٣. النساء: ٥٩.

٤ . بروكلمان، ١٣٦٤: ٣/٣١٩.

المعركة والمسؤولين عن مجزرة كربلاء، بل بالعكس، فقد منح بعضهم مكافآت ضخمة.[١]

وعلى عكس "بروكلمان" يقول "ولهاوزن":

لقد أصبح يزيد مسرورًا للغاية بما حدث، وكيف لا وهو يستمتع بقرع ثغر الإمام الحسين ويلعب برأسه.[٢]

ولكنّه ينفي وجود أيّ دافعٍ دينيّ في حركة الإمام ويعتبرها محاولة من شخص طموح لاكتساب سلطة عليا، وقد أجرى دراسات مستفيضة عن الأمويين ويزيد، ووصل إلى نتيجة أن يزيد نشأ بغرائز بدويّة، وهو يكره التقوى ويُهمل أحكام الشريعة،[٣] لكن يبدو أن رؤوس بني أميّة (على عكس يزيد) كانوا يتجنّبون قتل الحسين، على أمل أسره حيًّا، إلّا أنّ شمر بن ذي الجوشن لم يكن لديه أيّ تردّد في هذا الخصوص.[٤] كما أنّ له نظرة فاحصة في مجلس يزيد بحضور أسرى كربلاء؛ إذ بين المستشرقين قلَّ من تحدّث في دراساته عن دور خطب السيدة زينب عليها السلام والإمام سجاد عليه السلام في خلود حركة كربلاء.

الخامس: المبادئ السياسيّة للحكومة الشيعيّة والسلطنة الأمويّة

١. عهد الامام الحسين عليه السلام أو سلطنة يزيد

يقول "ماربين":

كان لبني أميّة الأفضليّة في الثروة والسياسة، وكان لبني هاشم الأفضليّة في العلم والمعنويّة، وأمّا الحسين فكان أولّ سياسي يتبنّى مثل هذه السياسة الفعّالة حتّى اليوم.[٥]

وقد أثار بعض المستشرقين، سواء عن حقد أو عن جهل، قضايا تظهر أنّ الإمام

١. أنكري، ١٣٧٨: ٢٤١-٢٤٠.
٢. ولهاوزن، ١٣٧٥: ٦٥.
٣. نيكلسون، ١٣٨٠: ٢١٠.
٤. نيكلسون، ١٣٨٠: ٢١١.
٥. ماربين وآخرون، ١٣٣٦: ٣.

الحسين عليه السلام كان يعارض خليفة المسلمين، في حين لقد تغيّرت الحكومة في عهد يزيد من شكلٍ دينيٍّ إلى شكل لا ديني بل هو دنيويّ بحت؛ حيث اختفت روح العبادة والتوحيد التى كانت في العصور الإسلاميّة السابقة، فأصبحت بداية السلطة الأمويّة نهاية الحكم الإسلامي؛ ولهذا أطلق ولهاوزن على كتابه عن العصر الأموي عنوان" *الإمبراطوريّة العربية وسقوطها*.[1]

وقد أورد "مطهري نيا" نقلًا عن "ألفريد فون كرمر":

إنّ أساس الفكر الشيعي وفكر الإمام الحسين عليه السلام، هو عقيدة حرّة وليبرالية يتعارض مع الأفق الضيّق للسنة (الأمويين) المتعصبين.[2]

فهو كمثل بعض المستشرقين، يعتبر سيد الشهداء رجلًا يستحقّ الثناء من قبل شيعته؛ حيث يتبعون عقيدة دينيّة معيّنة، ويوضّح "هاليستر" أنّه على الرغم من أنّ الحسين كان يعيش في المدينة المنوّرة، إلّا أنّه رفض التدخّل في الشؤون طالما كان شقيقه الإمام الحسن على قيد الحياة، وكما يقول "ماربين":

على الرغم من أنّ الحسين كان تحت تأثير أخيه الحسن، إلّا أنّه لم يكن مستعدًّا لطاعة الأمويين، ولم يعترض على ذلك، فكان يردّد شعاره المعروف: "ولأن أُقتَل في سبيل الحقّ خيرٌ من أن أبايع الطاغوت".[3]

٢. المرجعيّة السياسيّة للإمام عليه السلام

كان أهمّ عامل نشوء الخلاف في المجتمع الإسلامي هو قضيّة المرجعيّة والأصلحيّة لخليفة النبي صلى الله عليه وآله، والتي ظلّت قائمة إلى حادثة كربلاء، ويعتبر "ويلفرد مادلونغ"، الذي يتمتّع بسجلّ حافل بالنجاح في مجال دراسة التيّارات الشيعيّة، أنّ مرجعيّة الإمام السياسيّة تقوم على ثلاثة مبادئ:

١. هولت، ١٣٧٨: ١٢٥.

٢. مطهري نيا، ١٣٨٩: ٤٤.

٣. ماربين وآخرون، ١٣٣٦: ٦.

أ. من واجبات الإمام رئاسة المجتمع.

ب. المرجعيّة في المجتمع الإسلاميّ بعد رسول اللهﷺ هي من حقّ أهل بيتهعليهم السلام.

ج. مَن يغصب هذا المنصب ظلمًا، هو سلطان جور.[١]

وإنّ "مادلونغ" - وفقًا لتحليله الشخصي للتعاليم الإسلاميّة وشخصيّة الرسول الأكرمﷺ، وليس بناءً على الروايات التاريخيّة والكلاميّة المقبولة عند المسلمين والشيعة – قد توصّل إلى نتيجة مفادها أنّه لا يستحقّ خلافة الرسولﷺ إلّا شخصٌ مثل الإمام عليعليه السلام وأولاده، لكنّ أساس تفكيره يعود إلى أهل السنّة الذين يعتبرون مسألة الخلافة حقًّا للناس، من غير استناد إلى العقائد الكلاميّة القائلة بأنّها فعل من أفعال الله تعالى.[٢]

ويقول "برنارد لويس" بعد تفحّصه مرجعيّة الإمام في شكل الولاية:

> **إنّ "الولاية" هو صلاحيّة إصدار الأمر والتي يبرر بها السلاطين أفعالهم نظريًّا وشرعيًّا، والولاية ليست إلّا نتيجة القوّة العسكريّة، ومَن يبايعه صاحبُ القوّة العسكريّة يكون هو الخليفة.**[٣]

ويتابع قائلًا:

> **بما أنَّ الحاكم لا يستطيع تغيير الشريعة المقدّسة، فلا يستطيع التعدّي عن نطاق قدرته القانونيّة شرعًا. فإذا حاول إصدار حكمٍ مخالفٍ للشريعة، يُتّهَم بمخالفة الشريعة ويخضع للعقاب.**[٤]

كما يوضّح مطّردًا: كان الحسين بإمكانه أن يدمّر جيش عبيد الله بن زياد حاكم العراقِين أو يحرقهم ويحوّلهم إلى رماد بإشارة واحدة، لكنّه لم يستخدم قوّة إمامته لمحوهم، وبغض النظر عن آراء المستشرقين المختلفة في هذا الصدد، فإنّ مبادئ الشيعة

١. بهشتي مهر، ١٣٩٧: ١٥٩.
٢. بهشتي مهر، ١٣٩٧: ١٥٩.
٣. لويس، ١٣٨٥: ٧٥.
٤. المصدرنفسه: ٧١.

ومبانيها في هذا الصدد واضحة ومبرهنة، ولا بدّ من أخذها بعين الاعتبار.

٣. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إنّ العامل الأساس الذي ذكره الإمام الحسين عليه السلام كدليل أساس على قيامه هو فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعتقد "مايكل كوك" - استنادًا إلى المصادر الشيعيّة وسيرة الحسين بن علي صلى الله عليه وآله - أنّ مجرّد احتمال الضرر الشخصيّ لا يمنع من القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فربما أن يكون الشيء الذي تعرّض للخطر أكبر أهمّيّة من حياة الفرد وماله وكرامته في نظر الإسلام، كما هو الحال عندما يكون القرآن في خطر،[١] ثمّ إنّ الخوض أو عدمه في معركة عاشوراء هو من أبرز مظاهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنّ الشيعة الإماميّة يعتقدون أنّه لو يؤدّي النهي عن المنكر إلى الجرح أو قتل، فلا يجوز إلّا بإذن الإمام (المعصوم).[٢]

ومن ناحية أخرى، فإنّ المبدأ الأساس للحياة السياسيّة والاجتماعيّة للمسلمين، كما يتجلّى في كثير من الأحيان في أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو المسؤوليّة المشتركة للحاكم والرعية، أو وفقًا للمصطلح العصري: الدولة والمواطن.[٣]

إنّ كلّ الأدلّة المذكورة تدلّ على المشاركة والتعاون بين الأمّة والإمام، ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن بسبب عدم معرفة المستشرقين بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقع معظمهم كـ"ألفريد فون كرمر" (١٨٦٨م) في الخطأ، وأحيانًا تحدّثوا عن التعصّب المفرط للشيعة وعن عدم تسامحهم مع سائر المسلمين بل معاملتهم بوحشية.[٤]

فمن النادر أن نجد مستشرقًا يكون قد اهتمّ في دراساته بكلام الإمام الحسين عليه السلام عند خروجه من مكّة، حيث قال:

---

١. كوك، ١٣٨٤: ٢/٨٣٩.

٢. المصدر نفسه: ٨٤٥.

٣. لويس، ١٣٨٥: ٦٨.

٤. مطهري نيا، ١٣٨٩: ٤٤.

إنّي لم أخرج أشِرًا ولا بطَرًا، ولامفسدًا ولا ظالمًا، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ...[١]

فهم لم يلاحظوا سوى القتال في يوم عاشوراء، فلم تقدّموا الإمام الحسين عليه السلام على أنه مروّج حربٍ فحسب، بل وإنّما تجاهلوا أفعاله السلمية والإنسانيّة في محو البدع ومنع التفتيش عن العقائد، ومن المثير للاهتمام أنّ "مايكل كوك" الذي فهم هذا المبدأ جيّدًا، يعتقد أنّ الثقافة الغربيّة تخلو من الأفكار القيّمة مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأمر الذي سبّب أن يكون دافعه وغرضه من تأليف أثره، هو كيفيّة تحقيق الإسلام لهذه الفريضة وترسيخه في المجتمع الغربي.[٢]

٤. اتّباع القيادة في حركة عاشوراء

إنّ معظم التعاليم الإسلاميّة بشأن السياسة، تحمل رسالة ثنائيّة متكوّنة من جزأين: أحدهما للحاكم وهو صلاحيّة إصدار الأمر. والآخر للرعيّة وهو الانقياد والامتثال، وإنّ الواجب الأساس والرئيس للرعيّة في الشريعة هو طاعة الحاكم، ويعتبر العصيان ضدّه، جريمة ومعصية،[٣] وقد وردت هذه النقطة المهمّة في الآية الكريمة بوضوح: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[٤]. لكن كما أشار إليه جعفريان، فإنّ الحكومة الأمويّة ولا سيّما حكومة يزيد، أخذت سيرًا مختلفًا؛ إذ ابتنت على استخدام مفاهيم سياسيّة مزدوجة لإقناع الناس، وبيان المبدأين: (مبدأ الجماعة) (في حالة وجود جماعة: أخذ البيعة) و(مبدأ نقض البيعة) (أخذ البيعة باستخدام القوّة وفي حالة نقض البيعة: مؤاخذة شديدة)،[٥] ووفقًا لهذه الظروف، لم تكن الحكومة مبنيّة على الإيمان الباطني، بل كانت القوّة والرشوة، هما الدافعان الأصليّان لاتباع الحاكم المسلم.

١. المجلسي، ١٤١٢: ٤٤/٣٢٩.
٢. كوك، ١٣٨٤: مقدمة.
٣. لويس، ١٣٨٥: ١٧١.
٤. الفتح: ٢٩.
٥. جعفريان، ١٣٨٨: ٥٧-٥٨.

نتيجة البحث

إنّ النهج السياسيّ للمستشرقين الألمان والإنكليز تجاه حركة عاشوراء، يتمتّع بعمق وبصيرة أكثر من سائر المستشرقين الغربيين.

فيمكن تقسيم المستشرقين البارزين الذين حلّلوا حادثة عاشوراء إلى ثلاث مجموعات: "مستبصر"، و"باحث عام"، و"عملاء تخريب"، ولسوء الحظّ، كانت منابر الدعاية غالبًا ما بأيدي المجموعة الثالثة، وثمّة قصور في مواقف المستشرقين بشأن حادثة عاشوراء كما يلي:

أوّلًا: لا يدقّق المستشرقون أسناد الروايات بشكلٍّ عامٍّ (أي علم الدراية)، بل يهتمّون فقط بالنصّ والمحتوى.

ثانيًا: يتأثّرون بشدّة بالمصادر السنيّة وقلّما يعتمدون على المصادر الشيعيّة الرئيسة.

ثالثًا: عند طرحهم لفرضيّة معيّنة لا يبحثون عن الحقيقة، وإنّما همّهم الوحيد هو إثباتها بأي نحو كان، وللأسف، فلم يكن لباحثي المسلمين والشيعة موقف واحدٌ ضدّ الموجة العلميّة والسياسيّة للمستشرقين في العصر الحديث؛ فإنّ مجموعة منهم كرّست نفسها للقبول المطلق، ومجموعة أخرى للإنكار المطلق، والمجموعة الثالثة اتّخذت الاستدلال المنطقيّ والنقد طريقًا لها، الأمر الذي أدّى إلى فقدان وجود نظرةٍ موحّدةٍ حتّى اليوم.

واللافت للنظر هو أنّ الاستشراق قد تحوّل إلى حركة علميّة منذ النصف الثاني من القرن العشرين، وقد تمكّن المستشرقون من تحليل حركة كربلاء من وجهة نظر اجتماعيّة وسياسيّة وفهم آثارها المعنويّة ولو إجمالًا، ومن نتائج هذه الدراسات الإيجابيّة تقديم العديد من الأعمال حول حادثة عاشوراء، وضرورة إعادة التعرف على الهويّة الشيعيّة، واتّخاذ أساليب جديدةٍ وعلميّةٍ في دراسات عن عاشوراء، وخلق آراء وأفكار جديدة حول الإمام الحسين عليه السلام ومدرسته الفكريّة.

وأخيرًا لابد من القول: إنَّ الاستراتيجيّة الأنسب لمنع الانحراف وتفكير المستشرقين الخاطئ هي نشر الكتب والرسائل العلميّة باللغات الغربية، وانتقاد أعمالهم بشكلٍ دقيقٍ وعلميّ، والمشاركة الفعّالة في المؤتمرات والندوات، ومحاربة تيار الغلوّ، وإلقاء الضوء على الإيجابيّات في أعمال المستشرقين.

مصادر البحث

أ. بالفارسيّة

١. إحيا حسيني، غلام (١٣٨٧)، شيعه پژوهى و شيعه پژوهان انگليسى زبان، قم: شيعه شناسي.
٢. إشبولر، برتولد (١٣٥٤)، جهان اسلام (دوران خلافت)، مترجم: قمر آريان، طهران: أمير كبير .
٣. أنكري، غابريل (١٣٧٨)، علي و حسين ، دو قهرمان إسلام [علي والحسين: بطلا الإسلام]، مترجم: فروغ شهاب، طهران: أرمغان .
٤. باقي، عمادالدين (١٣٧٩)، جامعه شناسى قيام إمام حسين عليه السلام و مردم كوفه ، طهران: ني.
٥. بايرناس، جان (١٣٨٠)، تاريخ جامع أديان [تاريخ الأديان الشامل]، مترجم: علي أصغر حكمت، طهران: علمي و فرهنگى .
٦. بروجردي، حسين (١٤٢٢)، جامع أحاديث الشيعة، ج١٢، مترجم: مهدى حسينيان قمي، قم: مهر .
٧. بروكلمان، كارل (١٣٦٤)، تاريخ ملل ودول إسلامي [تاريخ الملل والدول الإسلامية] ،ج٣، مترجم: هادي جزايري، طهران: بنگاه ترجمه و نشر كتاب.
٨. بروكلمان، كارل (بدون تاريخ)، تاريخ الأدب العربي ، ج٣، ترجمة: عبدالحليم النجار، قم: دار الكتب الإسلاميّة.
٩. بهشتي مهر، أحمد (١٣٩٧)، تشيع إمامي در آثار ويلفرد مادلونگ [الشيعة الإمامية في أعمال ولفرد مادلونغ]، قم: شيعه‌شناسى.
١٠. جعفريان، رسول (١٣٨٨)، تأملى در نهضت عاشورا [بحث في حركة عاشوراء]، طهران: علم.
١١. حِتّي، فيليب (١٣٨٠)، تاريخ العرب، ج١، مترجم: أبو القاسم بايندە، طهران: علمى وفرهنگى.
١٢. دهخدا، علي أكبر (١٣٧٧)، لغت نامه دهخدا، ج٣١، ذيل مدخل (عاشورا)، طهران: مطبعة إيران الحكومية.
١٣. دونالدسن، دوايت (١٣٩٥)، مذهب شيعه [المذهب الشيعي]، ج١، مترجم: عباس أحمدوند، قم: معهد العلوم والثقافة الإسلامية للأبحاث.
١٤. زوارق موسوي، داوود (١٣٩٢)، واقعه عاشورا از ديدگاه مستشرقان [وقعة كربلاء من منظور المستشرقين]، طهران: مصباح الهدى.
١٥. سايكس، سِير پرسي (١٣٦٦)، تاريخ إيران، ج١، مترجم: محمد فخر داعي جيلاني، طهران: دنياى كتاب.
١٦. سحاب، أبو القاسم (١٣٥٦)، فرهنگ خاورشناسان [معجم المستشرقين]، طهران: سحاب .

١٧. سهامي انتشار.
١٨. شيمل، آنا ماري (١٣٧٥)، درآمدى بر اسلام [مقدمة عن الإسلام]، مترجم: عبدالرحيم كواهي، طهران: فرهنگ اسلامى.
١٩. عنايت، حميد (١٣٦١)، انديشه سياسي در اسلام معاصر [الفكر السياسي في الإسلام المعاصر]، طهران: خوارزمي .
٢٠. فاروقي، فؤاد (١٣٦١)، سيرى در سفرنامه ها، مصحح: حامد فولادوند، طهران: عطائي.
٢١. فلاطوري، عبد الجواد (١٣٥٢)، تحقيق عقايد وعلوم شيعى، يادنامه علامه أميني، إعداد: سيد جعفر شهيدي و محمدرضا حكيمي، طهران: شركت
٢٢. كمبفر، انجلبرت (١٣٦٣)، سفرنامه كمپفر ، مترجم: كي كاووس جهانداري، طهران: خوارزمي.
٢٣. كوك، مايكل (١٣٨٤)، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج٢، مترجم: أحمد نمايي، مشهد: مؤسسة البحوث الإسلاميّة.
٢٤. لالاني، أرزينه (١٣٨١)، نخستين انديشه هاى شيعى تعاليم امام باقرعليه السلام [الأفكار الشيعية الأولى: تعاليم الإمام الباقرعليه السلام] ، مترجم: فريدون بدره اي، طهران: فروزان روز .
٢٥. لمبتون، آن. كى إس (١٣٨٩)، دولت وحكومت در اسلام [الدولة والحكومة في الإسلام]، مترجم: محمدمهدى فقيهى، بدون مكان: شفيعي.
٢٦. لويس، برنارد (١٣٨٥)، زبان سياسى اسلام [لغة الإسلام السياسيّة]، مترجم: غلامرضا بهروز لک، قم: بوستان كتاب .
٢٧. ماجراجو، محسن و آخرون (١٣٨٣)، نينوا و انتظار ت أملى نو ، طهران: مؤسسة المهدي الموعودعليه السلام الثقافيّة .
٢٨. ماربين وآخرون (١٣٣٦)، قيام حسين ويارانش [قيام الحسين وأصحابه] ، مترجم: ناصر دهاقاني، أصفهان: شهريار .
٢٩. متز، آدام (١٣٧٧)، تمدن اسلامى در قرن چهارم هجرى يا رنسانس اسلامي، مترجم : عليرضا زكاوتي، قراجوزلو، طهران: أمير كبير.
٣٠. المسعودي، أبو الحسن (١٣٧٠)، مروج الذهب، ج٢، مترجم: أبوالقاسم بايندە، طهران: علمي وفرهنگى.
٣١. مطهري نيا، محمود (١٣٨٩)، مستشرقان و نبى أعظم [المستشرقون والنبي الأعظمصلى الله عليه وآله] ، طهران:

پژوهشگاه فرهنگ، هنر و ارتباطات .
٣٢. مطهري، مرتضى (١٣٤٩)، امامت و رهبرى [الإمامة والقيادة]، طهران: نشر صدرا.
٣٣. نيكلسون، رينولد (١٣٨٠)، تاريخ ادبيات عرب [تاريخ الأدب العربي]، مترجم: كيواندخت كيواني، طهران: ويستار.
٣٤. هارني، دزموند (١٣٧٧)، روحاني وشاه؛ گزارش شاهد عينى از انقلاب ايران، مترجم: أصغر أندرودى، بدون مكان: پيكان.
٣٥. هاشمي نجاد، عبدالكريم (١٣٨١)، درسى كه حسين عليه السلام به انسان ها آموخت [الدرس الذي علّمه الحسين البشر]، طهران: فراهاني.
٣٦. هاليستر، جان نورمن (١٣٧٣)، تشيع در هند [الشيعة في الهند]، مترجم: آزرميدخت مشايخ فريدني، طهران: مركز نشر دانشگاهى .
٣٧. هولت.پي. إم؛ لمبتون.إن.ك.س (١٣٧٨)، تاريخ الإسلام، مترجم: أحمد آرام، طهران: أميركبير.
٣٨. وات، مونتغمرى (١٣٧٠)، فلسفه و كلام اسلامى، مترجم: أبوالفضل عزتي، قم: علمى و فرهنگى .
٣٩. ولهاوزن، يوليوس (١٣٧٥)، تاريخ سياسى صدر اسلام، مترجم: محمود افتخارزاده، قم: معارف .
٤٠. الويري، محسن (١٣٨١)، مطالعات إسلامى د ر غرب [دراسات إسلامية في الغرب] ، طهران: سمت .

ب. بالعربية

القرآن الكريم
١. ابن الأثير، علي بن محمد بن عبدالكريم (١٩٨٦)، الكامل في التاريخ، ج٥، بيروت، دار الكتاب العربي.
٢. ابن شهر آشوب، محمد بن علي (١٤١٢)، مناقب آل أبي طالب، ج٤، بيروت، دار الأضواء.
٣. ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن عمر (١٣٥١)، البداية والنهاية، ج٨، بيروت، دار الفكر العربي.
٤. أنيس، إبراهيم وآخرون (١٩٧٣)، المعجم الوسيط، ج٢، مصر، مطابع دار المعارف .
٥. البدوي، عبد الرحمن (١٩٣٣)، موسوعة المستشرقين، الطبعة الثالثة، بيروت، دار العلم للملايين.
٦. شريف القرشي، باقر (١٤١٣)، حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، ج٣، قم: مدرسة الإيرواني العلميّة.
٧. الطبري، محمد بن جرير (١٤٠٩)، تاريخ الطبري، ج٤، بيروت: مؤسسة الأعلمي .
٨. المجلسي، محمد باقر (١٤١٢)، بحار الأنوار، بيروت، دار إحياء التراث العربي .

ج. بالإنجليزيّة

1.Tabari Muhammad ibn jarir the history if al-tabari: vol. The caliphate of yazid bn muawiyah, L.K.A. howard, Albany, new york, 1990.

2. Le shiism imamate, Paris: PresssesUniversitaires de France1968 Colloque
de Strasbourg.

د. المقالات

١. ذوالفقاري، حسن (١٣٧٢)، (فرهنگنامه عاشورا)، كيهان فرهنگی، شماره، ٩٨خردادماه.

٢. محمدي، س. (١٣٩٣)، (دائرة المعارف قرآن يک الگوست)، روزنامه ايران، ٢٢ تيرماه.

٣. نراقي، إحسان (١٣٥٤)، (راهيابی نو برای شرقشناسی)، راهنمای كتاب، السنة الثامنة عشرة .

هـ الإنترنت

http://www.iran-newspaper.com/newspaper/page/5693/7/269911/0